الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .

اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية والتوفيق الى سبل السلام . اه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

﴿ باب شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين . ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ... »

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب لطعن في دين النصارى أو غيره ابتداء وانما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تشكك الجاهل بالاسلام في الدين مطلقًا فتفسد أخلاقه ويكون وبالها عليه في نفسه وعلى الناس . ولا غرض لطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحلّ الرابطة الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفرادًا متحللين لا جامعة لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطمعون في تنصيرهم لكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الاسلام الا وراثة لا علم لهم بحقائقه الأولية .

قال السيد جمال الدين الأفغاني الحكيم الشهير (رحمه الله تعالى): ما سبب السيئة في مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة

الى النصرانية ؛ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادتها الجمعيات النصرانية في دينه. فلما جرب لدين يتفون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ؛

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المتنصرين النصرانية لم يجح في المسلمين من الطريق الديني انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمي وبذل جهده لإقناعهم (١) بأن دينهم كغيره عدو العقل والعلم (٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الاسباب (٣) أن بين السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام خلافاً بالمسلمين وسبب تأخرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين لم يأخذوا بالنصرانية والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي (١) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانهما قاضيان بهدمه كقضائهما بهدم النصرانية فاذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنار وغيره فانما يحاولون محالا بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و (٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات مطردة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . و (٣) أن يجعلوا خليفتهم حاكماً مدنياً يخترع الشرائع والاحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه السلطان ويحصر الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا

النصف الثاني لمن يريد أن يتمسك للعقل والعلم والاسباب لاجل العبادة .

هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولاجل أن يجعله مقبولا اوردلهم كلمات عن بعض أئمتهم حرفها عن معناها ليخدع البسطاء بها وإننا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المبتدين الذين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لقمه أننا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال : « مع انه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم أطلاعه على الشؤن التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الاية للغرض الذي ذكره مع أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن ما يتحكم هو فيه من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأفين مقتبس من الامام الغزالي الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

اذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملا ودرسه من أول نشأته المرة بعد المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كتبه بامعان وإخلاص — فهل يضحك او يبكي من (تركيب) جاحد معاند يلتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

ليغش المسلمين بشيء يخالف دينهم محتجاً بكلام امام من ائمتهم ولا موضع للاحتجاج ؛ نترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونبين الحق في المسألة التي اشتبه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسرا مثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهابا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانصه : « الاسباب التي يجلب بها النافع على ثلاث درجات، قطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اهـ بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظنونا وبين ان التوكل لا يأتي

فيها أيضاً قال مانصه : « فاذاً التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لاينافض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والكيّ التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقضي التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضارّ هذه الكلمة الجليلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فبهذا تبين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يسوغه الا في أحد أمرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جليٌّ واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في العوارض مايوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال الاسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والا فالسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب ، اه بحروفه

فاي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة الاخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يوهم المسلمين صاحب الجامعة بأنه ينكر الاسباب وينكران معنى سنة الله التي لاتتبدل ولا تحول الاسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟؟

(التوفيق بين هذا وبين ماقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الاسباب التي شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد والتوكل هي مايعتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه بين في هذا الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لايناقضه ذلك انه هنا يشرح الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقته الشرع وهناك يتكلم على العلل والتأثيرات الحقيقية في الايجاد والاعدام وما قاله في الموضعين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما نبينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المغرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب العادية الظاهرة منزلة العلل العقلية القاطعة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلقان بالمستحيل وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هو شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الاسباب التي مر القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالا عقليا وانما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها واوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما أوردوه على القول ببعث الاجساد . وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً

قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ما اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالالهي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانبه القارئ الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرهما فالانكار هو القول ببطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .
ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد «وانما نخالفهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ولا في الامكان ايجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى ان قال ما نصه « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى وشق القمر . ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوماً ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا مافي القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم واوّلوا تلقف العصا لسحر السحرة بابطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين . واما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر » اه بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول الامام كيف كان . الامام قال «وإنما يلزم النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات » ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو إنتفاء إثبات المعجزات بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها . وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات » فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة

فانا نهني من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة

ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا إثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفة امكانه وادّعوا استحالته ثم ضرب لذلك مثالا واضحا لا حاجة لذكره

وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم لا يقولون بأن شيئاً من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكاكه محال لا يتصوره العقل بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيراً ويسمون مالا يعرفون له منه علة « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات مالم يقع كإحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجامعة

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي فيما تقدم آنفا بان المتلازمين في العقل تلازماً يثبت بأحدهما بثبوت الآخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما الان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسببات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع «لا محالة» وفسر مثل قوله تعالى «فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسببات وهو التفسير المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب والمسببات العادية على اطراده ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالا وانما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فينبغي للناس أن يبحثوا عنها وينتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالا عقليا

ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلا فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام يعنون ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالممكن فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ما ثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير . (ثانيهما) ان للممكنات سننا منتظمة ينبغي للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي أن يوقف حركة استعداده عند ما يظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الالهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبغي للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان ينفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت يمتنع الاحراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فبهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ملك الله مهتدياً بسنن الله في خلقه [illegible] على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا يعتمد عليها في إثبات المسائل العلمية ما لم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوربا وقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

ووضوحاً لأنه كان يعتقد بخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي الى ان تكون نظرية مظنونة . ولكن اوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها الى الاخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وعدّ باكون إمام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة ان صاحب الجامعة أخطأ في زعمه ان الامام الغزالي أنكر الاسباب . وفي زعمه ان مذهبه في السنن الالهية غير ماقلناه في « المنار » وندعو اليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة باكون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً ان التلازم بين الاسباب والمسببات أو النواميس اذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى فان خالق الكون وواضع نواميسه اذا كان حكيما لايفعل شيئاً الا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى . ومن قال ان النظام في الكون مشروط بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا الا صاحب الجامعة النصرانية يثبت ان مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤدٍ الى انكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الدين أشد تهافتاً في طعنه بالاسلام وأئمته الاعلام مثل هذا الكاتب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المعتوه الذي تخلّى في مذبح تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الائمة لاجل دريهمات تجيء من عدو للاسلام ، يجب ان يتشفى من أهله ولو بزور الكلام ، وهو أعلى من أن تعرج اليه الاوهام ،